أسرة آل بختيشوع ودورها خلال العصر العباسي

(من القرن 2هـ - 8 م/ 5هـ - 11م)

أ. تجديدة بوعذبة محمود

كلية الآداب، جامعة سبها

المستخلص:

شهد العصر العباسي نهضة حضارية علمية كبيرة ازدهرت فيها مختلف العلوم وكانت بغداد القبلة التي ارتادها مختلف طلاب العلم، كما أن الانفتاح الذي حدث في العصر العباسي ساهم في وفود العديد من العلماء، من مختلف الأقطاب والأصقاع على بغداد حاضرة بني العباس، ومن هؤلاء الوافدين كانت أسرة بختيشوع، التي توافد أفرادها إلى بغداد وقد امتهنوا صناعة الطب، كما لعبوا دورا كبير في حركة الترجمة، بحكم إتقانهم للغة اليونانية والعربية إلى جانب السريانية، لغتهم الأم.

وتُعد أسرة آل بختيشوع من الأسر العلمية التي توارث أبناؤها مهنة الطب عبر أجيالها وكانوا من أعظم أطباء زمانهم، كما برعوا في ترجمة الكتب ونقلها للعربية، وحظوا بمكانة رفيعة لدي الخلفاء، الأمر الذي أكسبهم ثقتهم فتقلدوا المناصب الرفيعة في الدولة.

الكلمات المفتاحية: آل بختيشوع ـ علم الطب ـ الترجمة ـ العصر العباسي.

المقدمة

يُعد العصر العباسي من أزهي عصور الحضارة الإسلامية، لما شهده هذا العصر من نهضة علمية ثقافية فكرية، والفضل في ذلك يعود لخلفاء بني العباس؛ الذين احتضنوا العلم والعلماء، وساهموا بشكل كبير في إرساء دعائم الحركة العلمية، والدفع بها قُدُماً نحو الأمام، حتى أضحى المشرق؛ القبلة التي ارتادها طلابُ العلم من مختلف الأصقاع.

شهد العصر العباسي ظهور أُسر علمية عديدة، تربطها علاقات دم أو قرابة، ساهمت بشكل كبير في النهضة العلمية والثقافية والفكرية، وقد حظيتْ هذه الأسر العلمية بمكانة بارزة خلال العصر العباسي، الذي شهد نهضة علمية كبيرة نتيجة لما أولته دولة بني العباس للعلم والعلماء، ومن هذه الأسر التي لمع نجمها في صناعة الطب على سبيل المثال لا الحصر:

_ أسرة آل ماسوية: ومن أطباء هذه الأسرة "ماسوية الخوزي" كان بصيراً بالعلاج كثير التجارب، وكان ماهراً في علاج الأمراض، عالماً بانتقاء الأدوية واختيار جيدها، ومن أبناء هذه الأسرة "يوحنا بن ماسوية" الذي كان من الأطباء المقدمين لدى الملوك، خدم المأمون والمعتصم والواثق، (ابن النديم ، د.ت:ص411) ومن مصنفاته: الكمال والتمام ، كتاب الكامل ، كتاب دفع ضرر الأغذية ، كتاب علاج الصداع، توفي سنة (243ه/857م) ،(صاعد الأندلسي،1992:ص36) ومن أبناء هذه الأسرة أيضاً "ميخائيل بن ماسويه" أخو يوحنا وكان من الأطباء المقدمين لدى الخليفة المأمون، ولم يذكر له مؤلفٌ طبيٌ ولا يُعرف تاريخ وفاته.(القفطي، د.ت: ص216)

_ أسرة آل الطيفوري: ومنهم عبدالله الطيفوري، نال مكانة كبيرة لدى الخليفة موسي الهادي، ولا يُعرف له أي مؤلف طبي، كما لا يُعرف تاريخ ولادته ووفاته،(القفطي، د.ت: ص148) ومن أطباء الأسرة أيضاً زكريا بن عبدالله الطيفوري، من الأطباء الجيدين، كان في خدمة الأفشين قائد المعتصم، وهو القائم بامتحان الصيادلة في معسكر الأفشين، ولم يعرف له أي مؤلَّف طبي، كما لم تذكر له أي سنة ولادة أو وفاة، (القفطي، د.ت: ص128) ومن أطباء الأسرة أيضاً إسرائيل بن زكريا الطيفوري، كان مقدماً في صناعة الطب، جليل القدر عند الخلفاء، اختص بخدمة الفتح بن خاقان، وليس له أي مُؤلَّف طبي.

_ أسرة آل سهل: ومنهم سهل الكوسج كان عالماً وخدم بالطب أيام المأمون ، (العبري،1997: ص121) ومن أبناء هذه الأسرة سابور بن سهل وكان فاضلا متقدما، وله

من الكتب كتاب: قوى الأطعمة ومضارها ومنافعها، وكانت وفاته سنة 255ه.(ابن النديم، د.ت: ص413)

وفيما يخص موضوع دراستنا، فقد تناولنا أسرة آل بختيشوع، التي امتهن أفرادها صناعة الطب، وتوارثوا هذه المهنة، فنبغ عدد من أفرادها في هذا الحقل، ونالوا شهرة واسعة جعلتهم في الصفوف الأولى لأطباء عصرهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل نبغ أفرادها في حقل الترجمة والنقل، التي بلغت أوجها زمن العباسيين، وكان لأسرة بختيشوع دور كبير في هذه الترجمة، التي مثلت عملية التلاقح العلمي بين الحضارات، وهذا الأمر لم يحدث لو لم يفتح العباسيون المجال أمامهم، وقد جنى العباسيون ثمار هذا الانفتاح، الذي انعكس بشكل ايجابي على الحياة العلمية في عهد الخلافة العباسية.

يقوم هذا البحث على ثلاثة محاور أساسية: تناول المحور الأول أصول هذه الأسرة ونشأة علمائها، وتناول المحور الثاني أثرهم وإنجازاتهم في علم الطب، أما المحور الثالث فيتناول دورهم ومساهمتهم في حركة الترجمة والنقل.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية هذه الدراسة كونها تتناول مرحلة مهمة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ألا وهي إبراز دور الأسر العلمية التي ظهرت في العصر العباسي، ومعرفة مدى مساهمتها في النهضة العلمية، التي بلغت أوجها في عصر بني العباس من خلال أسرة آل بختيشوع السريانية نموذجاً.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على التأثيرات التي أحدثتها هذه الأسرة على النهضة العلمية في العصر العباسي، لا سيما على صناعة الطب، وحركة الترجمة والنقل، وجهود الخلفاء العباسيين الذين كان لهم الدور الأكبر في تشجيع حركة الترجمة، والاهتمام بالعلوم.

إشكالية الدراسة: شاركت أسرة آل بختيشوع في الحركة العلمية، التي بلغت أوجها في العصر العباسي، الأمر الذي يدعو إلى معرفة حجم هذه المساهمة، التي قدمتها هذه الأسرة في مجال الطب من حيث اكتشافهم للعديد من الأمراض، وطرق علاجها إضافة لمصنفاتهم الطبية، التي ظلت مرجعاً للمهتمين بالعلوم الطبية، أو في مجال الترجمة والنقل الذي كان لهم دور بارز فيه.

المجال الزمني للدراسة: في الفترة ما بين القرنين الثاني إلى القرن الخامس الهجري، ومن القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر الميلادي.

المجال المكاني: إقليم جنديسابور والعراق.

المبحث الأول : ـــ أصلهم وسيرتهم

تعد أسرة أل بختيشوع من الأُسر التي اشتهرت بتوارث أبنائها صناعة الطب، وهي أسرة نصرانية تقيم بجنديسابور التي اشتهرت بمدرستها الطبية وبيمارستانها؛ اللذين أنشأهما كسري الأول، وجلب إليهما المعلمين من اليونان، وكان للسريان نصيب كبير فيها، وقد تخرج من هذه المدرسة عدد كبير من الأطباء؛ الذين أضحوا من كبار الأطباء فيما بعد، ومن هؤلاء أسرة أل بختيشوع (الهواري، 2005: ص115) التي تعاقب أبناؤها على هذه المدرسة وصاروا من أهم أطباء زمانهم.

وقد فتح المسلمون هذه المدينة فيما فتحوا من بلاد فارس، وظلت مدرستها الطبية قائمة تؤدي دورها كما كان في عهد الفرس، بل بعد الفتح الإسلامي ازداد اتصالها بالمسلمين من خلال أطبائها، الذين بدأ توافدهم على بغداد، وأضحوا أطباء لخلفاء بني العباس. (ماجد، 1996: ص252)

كان من أهم ما ميز هذه الأسرة، أنه كلما مات أحد من أفرادها خلفه طبيب أخر أكمل مسيرة أسرته في صناعة الطب، إلى جانب ذلك فقد كان لعدد من أفرادها دور بارز في حركة النقل والترجمة للعربية في مختلف العلوم، وقد خدمتْ هذه الأسرة العباسيين حوالي ثلاثة قرون متواصلة (فارس، 1993: ص92) تعاقب خلالها سلسلة من الأطباء عبر أجيالها ممن توارثوا صناعة الطب.

يأتي في المقدمة جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع، مؤسس هذه الأسرة، وكان من أعظم أطباء زمانه (ابن النديم، د.ت: ص412) وظهرت له معالجات رفعت شأنه، وكان يرأس المدرسة الطبية في جنديسابور، وكان له عدد من المعاونين والتلاميذ، الذين تتلمذوا على يديه نذكر منهم: عيسى بن شهلاتا، وإبراهيم وابنه بختيشوع، وكان يجيد اللغتين، اليونانية والعربية، (العبري، 1997: ص110) الأمر الذي أفسح أمامه المجال عند مجيئه إلى بغداد لممارسة التطبيب وترجمة الكتب.

يأتي بعده ابنه بختيشوع بن جرجيس، طبيب سرياني، كان على دراية كبيرة بصناعة الطب، حاذقاً فيها، تعلم الصناعة على يد أبيه في بيمارستان جنديسابور، وناب مكانه في هذا البيمارستان عندما ذهب إلى بغداد، فاستطاع أن يسد مكانه، وعندما توفي والده خلفه في إدارة البيمارستان، فكان خير خلف لخير سلف، (عكاوي، 1994: ص178) وخدم الخليفة هارون الرشيد واشتهر، وتقدم لدى خلفاء بني العباس. (عبدالرحمن، 1977: ص42)

خلفه جبرائيل بن بختيشوع من أشهر أطباء عصره، مشهود له بالفضل، جيد التصرف، له تآليف في الطب، كان يعمل في بيمارستان جنديسابور في أول أمره، ثم جاء إلى بغداد بعد ترشيحه من أبيه ليكون طبيب أبي جعفر البرمكي، وسرعان ما ذاع ذكره في بغداد، وحلَّ محل أبيه بختيشوع عند الخلفاء ونشأ في دولتهم، وتقدم لدى هارون الرشيد، وصار من المقربين لديه ومن حاشيته،(العبري،1997:ص115)وبعد وفاة الرشيد خدم الأمين، ولما ولي المأمون الخلافة سجنه ثم أطلقه وأعاده إلى مكانته السابقة، فلم يزل فيها إلى أن توفي ودفن في دير(مار جرجس) بالمدائن.(غني، 2005: ص116)

يأتي بعده الطبيب الرابع في سلسلة أطباء آل بختيشوع، وهو بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع، نال منزلة رفيعة وقربه الخلفاء العباسيون، وحظي بمكانة خاصة لدى الخليفة المتوكل، وبلغ من الثراء حتي صار يضاهي المتوكل في الفرش واللباس، وخدم الواثق والمتوكل والمستعين والمهتدي والمعتز، وكانت وفاته في سامراء سنة 256ه ـــ 869م.(الزركلي، 2002،ج4: ص44)

خلفهُ عبيدالله بن بختيشوع لم يكن ضليعاً في الطب كبقية أفراد أسرته، وكان أقل أفراد أسرته شأناَ في الطب، لذلك لم ينل المكانة التي لقيها أسلافه من أطباء الأسرة لدى الخلفاء، وتمت مصادرة أمواله وطرده في خلافة المقتدر. (السرجاني، 1994: ص275)

ثم يأتي جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع، من أطباء الأسرة النجباء، وكان متقناً لصناعة الطب، الأمر الذي أكسبه شأناً عظيماً، يُكنى أبا عيسي، (ابن أبي اصبيعة، 1996: ص144) ولد وتعلم ببغداد، ثم رحل إلى شيراز، فاتصل بعضد الدولة، ثم الصاحب بن عباد، وسافر إلى القدس ودمشق، وبلغ ذكره العزيز (ملك مصر) فدعاه إليه، لكنه اعتذر وعاد إلى بغداد، وتوفي فيها سنة 396ه ـــ 1006م. (الزركلي، 2002، ج4: ص111)

خلفهُ عبيدالله بن جبرائيل، أبو سعيد عبيدالله بن جبرئيل بن جورجس بن بختيشوع، من أهل مارقين، (الزركلي، 2002، ج4: ص192)، كسابقيه من أفراد أسرته كان ضليعاً بعلم الطب، أقام ببغداد فترة قصيرة ثم أقام بمارقين، كانت له آراؤه في الطب، وكان معارضاً لكل من أراد أن يجعل الطب قسماً من أقسام الفلسفة، وجهد في جعله من العلوم التطبيقية. وتوفي سنة 450ه.(عكاوي، 1994: ص185)

جاء بعده يوحنا بن بختيشوع، وكان أيضاً من أعلام الطب، خبيراً باللغتين اليونانية والسريانية، وساهم في نقل العديد من الكتب اليونانية إلى السريانية، كما كانت له العديد من المصنفات في حقل الطب.

خلفه بختيشوع بن يوحنا، درس الطب على يد أبيه، وأجاد في الصناعة، وكان مقرباً من الخلفاء، واختص بخدمة الخليفة العباسي المقتدر بالله.

المبحث الثاني: ـــ انجازاتهم في مجال الطب

كان أكثر ما ميز العصر العباسي، هو إفساح المجال أمام مختلف الأجناس والأديان، للانخراط في مختلف المجالات، سواء العلمية أو الثقافية أو الاجتماعية، وكانت شهرة مدينة جنديسابور في ميدان الطب عظيمة، وكانت مدرستها لتعليم الطب لها شهرة مدوية تحت إشراف النساطرة، وقد استعان خلفاء بني العباس بأطباء هذه المدرسة، ونخص بالذكر أسرة آل بختيشوع التي امتهن أفرادها صناعة الطب وكانت لهم شهرة كبيرة أهلتهم للحصول على ثقة الخلفاء العباسيين.

وبالحديث عن وفود هذه الأسرة إلى بغداد، كانت في زمن الخليفة أبوجعفر المنصور، الذي استقدم بختيشوع من جنديسابور نتيجة لمرض ألمَّ به ولم يفلح أطباء بغداد في علاجه،(صاعد الأندلسي، 1992: ص84) ومن هنا بدأت مسيرة أسرة آل بختيشوع مع بني العباس والتي استمرت حوالي ثلاثة قرون من الزمان .

ويذكر ابن أصيبعة بداية ظهور جورجيوس في البلاط العباسي، أن المنصور ألمَّ به مرض في معدته وعجز الأطباء عن علاجه، فجمع الأطباء وسألهم إن كانوا يعرفون طبيباً ماهراً في سائر المدن، فأشاروا عليه بجورجيوس، فإنه من أمهر الأطباء.(ابن أصيبعة، 1996: ص123)

وبالفعل أرسل المنصور من يأتي به إلى بغداد، وكان جورجيوس عميد مدرسة جنديسابور ومستشفاها، وفي بداية الأمر بدا متردداً في الحضور إلى بغداد، ولكن أمام إلحاح رسول الخليفة الذي أصر عليه بالذهاب معه، وافق على المجيء بعد أن استخلف ابنه بختيشوع وتوجه إلى بغداد.(مراد، د.ت: ص87) وعند وصوله ألقى السلام على الخليفة باللغتين العربية والفارسية، فأُعجب الخليفة بلباقته، وبدأ بمعالجة الخليفة وما هي إلا أيام حتى شُفي الخليفة من مرضه.(خيرالله ، 1946: ص57)

من هنا بدأت مسيرة أسرة آل بختيشوع في بغداد، وبدأ نجم هذه الأسرة في البزوغ، وأصبح جورجيوس طبيب المنصور الخاص، وعاش إلى أيام الرشيد، وكان جليلاً في صناعة الطب، ويُكنى أبا جبرائيل،(القفطي، د.ت: ص71)، وأصبح أحفاده أطباء الخلفاء العباسيين نحو ثلاثة قرون من الزمان.(النجار، 1994: ص64)

تجدر الإشارة أن لجورجيوس العديد من التصانيف، التي كان من أبرزها: كتاب (الكُناش)، وقد نقله حنين بن إسحاق من السريانية للعربية،(ابن ابي أصيبعة، 1996: ص125) وله كذلك كتاب: (الأخلاط)،ولهذين الكتابين أهمية كبيرة، فقد كانا من المراجع الطبية المهمة، التي اعتمد عليها طلاب العلوم الطبية، ونال كتاب الكُناش شهرة واسعة بما كان يتناوله من معلومات قيمة حول عديد الأمراض، منها:أمراض المعدة ، وقروح الأمعاء، وغيرها من الأمراض التي تناولها جورجيوس في هذا المصنف.(ابن النديم، د.ت: ص412)

كان جورجيوس قبل مجيئه إلى بغداد استخلف ابنه بختيشوع على رئاسة المدرسة الطبية في جنديسابور، وعندما عزم الأب على الرحيل أمر الخليفة المهدي بإحضار ابنه بختيشوع خلفاً لأبيه في بغداد. (السرجاني، 2008: ص273)

يأتي بعده ابنه بختيشوع الذي ورث مجد أبيه في صناعة الطب، وكان خير خلف لخير سلف، ونال شهرة كبيرة في بغداد، أسوة بأبيه، وذلك لمهارته في صناعة الطب، وتميزه فيها عن أطباء زمانه.

وجدير بالذكر أن بختيشوع وفد إلى بغداد، بعد استدعائه من قبل الخليفة المهدي لمعالجته، وأصبح بعد ذلك من حاشية الخليفة، بل وآثره على أطبائه، وهو أمر لم يُرْضِ الخيزران أم الخليفة المهدي، التي أخذت توغل صدر الخليفة ضده، لتفضيلها طبيبها أبوعيسى (أبا قريش) على بختيشوع، وبدأت بتدبير المكائد والدسائس لبختيشوع الأمر الذي دعاه إلي العودة إلى جنديسابور، ومغادرة بغداد.(عكاوي، 1994: ص179)

ثم ما لبث أن عاد مجدداً في عهد الخليفة هارون الرشيد، الذي يقال أنه استدعاه، فحضر لبغداد ويقال أن هارون الرشيد امتحنه بأن أمر أحد أتباعه أن يأتيه ببول، ويقول لبختيشوع أنه بول احدى الجواري، فنظر بختيشوع إلى البول جيداً، وقال للخليفة: هذا ليس بول إنسان، فضحك الخليفة، وسأله (ماذا يجب أن يأكل هذا المريض) فأجاب بختيشوع (الشعير ياسيدى).(خيرالله، 1946: ص58)

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على معرفته بأمور الطب، ولكن يبقى التساؤل: هل فعلاً أراد هارون الرشيد امتحان بختيشوع، خاصة إذا ما علمنا بشهرته منذ عهد الخليفة المهدي، الذي استدعاه من جنديسابور، كما أن أباه جورجيوس عينه مكانه رئيساً لمدرسة الطب في جنديسابور عند مجيئه لبغداد، فلو لم يكن أهلاً لذلك لما تقلد هذا المنصب، كما أن هارون الرشيد لم يكن ليستدعيه دون سواه لو لم يكن يقدر خبرته في صناعة الطب.

وأمر الرشيد بإكرام بختيشوع، وعينه رئيس الأطباء كلهم، وقد عمل لدى الخليفة الرشيد (والد الأمين والمأمون) في بغداد، وكان قد خدم الخليفة المهدي، ثم الخليفة الهادي. (نعمة، 1991: ص92) وله عدة تصانيف في الطب، كان من أبرزها كتابه الشهير(التذكرة)(ابن النديم، د.ت: ص413) الذي ألفه لابنه جبرائيل، وهو يعتبر كُناشاً صغيراً جمع فيه العديد من الأمراض المنتشرة في عصره مثل السل، وقرح المعدة، وغيرها من الأمراض.

يأتي ثالثاً جبرائيل بن بختيشوع، حفيد جورجيوس الأول، وقد حظي بمكانة عظيمة لدى الخلفاء، وبالأخص لدى الخليفة هارون الرشيد، وكان طبيباً بارعاً، خدم الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة، ثم خدم من بعده ابنه الأمين والمأمون، (غني، 2005: ص116) وقد حدث أن شفي على يديه إحدى جواري الرشيد، كانت تعاني من شلل باليد عجز غيره عن علاجها. (خيرالله، 1946: ص58) ونال شهرة واسعة حتى صار طبيباً لجعفر البرمكي. (ابن أبي أصيبعة، 1996: ص127).

كما نال منزلة كبيرة لدى الخليفة المأمون، عقب الرسالة التي بعثها له في المطعم والمشرب، والتي صارت دليلاً لأطباء عصره في مجال الأغذية. (ابن ابي أصيبعة، 1996: ص127)

وكانت له مجموعة تآليف في الطب منها كتاب المدخل إلى صناعة المنطق، وكتاب في الزينة، ورسالة مختصرة في الطب، وله كُناشه أيضاً، (ابن جلجل، 1955: ص64) ورسالته للمأمون في المطعم والمشرب، وكتاب في صنعة البخور ألفها للمأمون، (الزركلي، 2002: ص111) وله من المؤلفات أيضاً كتاب الروضة الطيبة(فارس، 1993: ص92)

خلفه بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع رابع أطباء الأسرة الطبية الكبيرة، والذي حمل اسم المؤسس الأول بختيشوع، درس الطب وكسابقيه من أفراد أسرته، فقد نال مكانة عظيمة لدى خلفاء بني العباس، وكان قريباً من الخليفة المتوكل، واشتهر بممارسة الطب بالقياس لا بالتجربة، كما أنه ركز على الوقاية من المرض.(السرجاني، 2008: ص175)

إلا أنه كان دائم التعرض للمكايدة، وكانت إحداها في عهد الخليفة الواثق بالله، الذي سخط عليه، وصادر أمواله وأملاكه، وأعاده إلى جنديسابور، وما لبث أن إعتل الخليفة الواثق وألم به المرض فأرسل في طلبه لكنه توفي قبل قدوم بختيشوع.(أبواسحق، 1960: ص173)

وتغير حاله في زمن الخليفة المتوكل على الله ونال مكانة رفيعة، وأصبح يضاهي المتوكل في الزي، واللباس، والفرش، والصناعات، فحسده المتوكل وقبض عليه، وصادر ممتلكاته، لكن لم يلبث أن استحضره نتيجة لمرض ألم به.(حاماتي، 2009: ص32)

وكانت له مصنفات في الطب منها: نبذة في الطب، وصنائع الرهبان في الأدوية المركبة، وكتاب الحجامة وهو كتاب على طريقة السؤال والجواب.(ابن أبي اصيبعة، 1996: ص127)

يأتي بعده عبيدالله بن بختيشوع، الذي لم يكن متمرساً في الطب كأجداده من أسرة آل بختيشوع، فقد كان أقل أفراد أسرته شأناً في الطب، وكان يطبب في خلافة المقتدر بالله، كما عمل كاتباً في ديوانه.(السرجاني، 2008: ص275)

وخلاصة القول أنه كان أقل أبناء الأسرة حظاً، ولم ينل المكانة التي لقيها أسلافه من أطباء الأسرة لدى خلفاء بني العباس، بل أن الخليفة المقتدر طرده من بلاطه وصادر أملاكه.(عكاوي، 1994: ص184)

خلفه جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع أنجب أفراد أسرة آل بختيشوع وأشهرهم، تابع مسيرة أسرته في صناعة الطب فبرع فيه، وقد عمل في بلاط عضد الدولة البويهي، وكان من أهم علماء عصره بصناعة الطب، وفي أواخر أيامه أعتكف على التأليف وله مصنفات عديدة منها كُناشه الكبير الملقب بالكافي، في خمسة مجلدات، ألفه للصاحب بن عباد على طريق السؤال والجواب.(القفطي، د.ت: ص105)

كما كان له كُناشه الصغير ألفه أيضاً للصاحب بن عباد، ورسالة في عصب العين، ومقالة في ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل(بين آلات الغذاء وآلات التنفس)(القفطي، د.ت: ص105)، وكتاب المطابقة بين قول الأنبياء والفلاسفة.(ابن أبي أصيبعة، 1996: ص148)

المبحث الثالث: دور أسرة آل بختيشوع في حركة الترجمة والنقل

كان لحركة الترجمة دور كبير في التعرف على ثقافات الأمم، ونهضتها العلمية، والفكرية، والحضارية، فبعد انتهاء حركة الفتح الإسلامي، اندفع المسلمون نحو معرفة ماتزخر به هذه الشعوب، من نهضة علمية وثقافية وحضارية، عن طريق حركة الترجمة والتي وإن بدأت بسيطة في عهد الأمويين إلا أنها أخذت باعاً طويلاً زمن العباسيين.

بلغت الترجمة أوجها خلال العصر العباسي ولعل السبب الرئيس وراء ذلك هو تشجيع خلفاء بني العباس للمترجمين، وفتح بغداد أمام العلماء وطلاب العلم، الأمر الذي جعل بغداد قبلة يرتادها طلاب العلم من كل مكان، وبالرغم من أن حركة الترجمة قد بدأت زمن الأمويين إلا أنها قطفت ثمارها أيام العباسيين.

وكانت بداية رعاية الدولة العباسية للنقل والترجمة قد بدأت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، الذي يعد من أوائل خلفاء بني العباس المهتمين بالترجمة ، وهو أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية، (السيوطي، 2003: ص214) وقد وصلت الترجمة في عهده قمة ازدهارها، وبذل في ذلك جهودا حثيثة، حيث دعا العلماء إلى القيام بترجمة الكتب في مختلف فروع المعرفة، وبذل أموالا طائلة في سبيل ذلك، حتى تكونت لديه مكتبة ضمت عديد الكتب، والتي حرص الناس على ارتيادها، لما ضمته من كتب احتوت معلومات ثمينة في مختلف العلوم.(الدفاع، د.ت: ص24)

وسار على خطاه الرشيد والمأمون؛ الذين كان لهما دورٌ بارزٌ في ازدهار حركة الترجمة، ففي عهد الرشيد أسس مدرسة للترجمة جمع فيها كبار العلماء، ونقلت المؤلفات الفارسية والسريانية وغيرها إلى اللغة العربية،(شلبي، 1954: ص87) كما سلك المأمون درب أبيه الرشيد في الاهتمام بالترجمة، وأسس بيت الحكمة على غرار مدارس السريان، مع بعض الإضافات، حتى صار بيت الحكمة ملتقى التراجمة.(أحمد، 1991: ص33)

ولعب النصارى دوراً كبيراً في الترجمة والنقل، بحكم اتقانهم السريانية، وبرزت العديد من الأسر؛ التي كانت لها الريادة في هذا المجال، ومن هذه الأسر أسرة آل بختيشوع موضوع دراستنا.

كانت بداية أسرة آل بختيشوع بالترجمة في عهد الخليفة العباسي المنصور، الذي يعد أول خليفة عباسي يقوم على رعاية حركة الترجمة، فقد عمل المنصور على تنشيطها بمختلف الوسائل والسبل،(عبدالحميد، 2004: ص294) فترجمت في عهده المؤلفات المختلفة من مصادر عدة يونانية وفارسية وهندية، وذلك لما عُرف عنه من محبته للعلم وتقريبه للعلماء.(الجمل، 2005: ص16)

ومن أهم النقلة لهذه الأسرة كان جورجيوس بن جبرائيل فبعد المكانة التي لقيها في عهد الخليفة المنصور، ووثوق المنصور به، أخذ في ترجمة الكتب عن اليونانية والفارسية والسريانية إلى العربية، حيث كان يجيد هذه اللغات الثلاث ، الأمر الذي ساعده في ترجمة العديد من الكتب،(عفيفي، 1977: ص37) وكان جورجيوس قد نفذ عدداً من الكتب

من مشروعات الترجمة والتعريب للمنصور في المجالات العلمية، خاصة كتب الطب الفارسية.(فارس، 1993: ص92) وكان لهذا الأمر دورٌ مهمٌ لدى كل المهتمين بصناعة الطب، وسار أولاده وتلاميذه كبختيشوع وجبرائيل على نهجه في الترجمات الطبية.(عفيفي، 1977: ص37)

وكان من أشهر المترجمين في الأسرة جبرائيل بن بختيشوع، كبير أطباء الرشيد، الذي اقترح على الرشيد جلب الكتب الرومانية ومخطوطات الطب اليونانية، فترجم للرشيد بعض كتب أبقراط، وترجم بعض مصنفات جالينوس في علم التشريح، وألف موسوعة طبية تأثر فيها بآراء أبقراط وجالينوس.(علي، 2017: ص249) وقد رفع الرشيد منزلة جبرائيل، وعزز مكانته وأسند إليه أمر التدريس والترجمة في مدرسة الطب ببغداد والتطبيب بمستشفاها.(أبوسحق، 1960: ص169)

وهذا يقودنا إلى أن العناية والاهتمام التي أولاها الرشيد لحركة الترجمة من أهم الأسباب التي جعلت عصره من أزهى العصور التي مرت بها الترجمة قبل الخليفة المأمون.(عبدالقادر، 1988: ص23)

وكانت النقلة الأكبر في عهد المأمون، الذي أسس بيت الحكمة فكان الصرح الذي قصده القاصي والداني، ممن عنوا بالعلم والمعرفة، فقد كان مقصداً لأجلِّ العلماء والأطباء، حيث هيأ لهم الأجواء الملائمة للترجمة والنقل، ومما لا شك فيه أنه كان لآل بختيشوع نصيب لممارسة الترجمة داخل بيت الحكمة.

وبمرور الوقت غدت بغداد مركزاً للطب والعلم والترجمة؛ حتى أضحت من أهم مراكز الإشعاع والنور والعلم في العالم آنذاك، ولعل أهم بواعث نشاط الترجمة والنقل رعاية خلفاء بني العباس للترجمة، وإن أوردت بعض الروايات أن خلفاء بني العباس كانوا يدفعون للناقل ثقل الكتاب المنقول ذهباً(محاسنة، 2001: ص219) لكن هذا الأمر ربما يكون مبالغاً فيه، غير أنه يبين لنا في الوقت نفسه مدى الدعم الذي أولاه بنو العباس للترجمة، الأمر الذي انعكس على حركة الترجمة والنقل خلال العصر العباسي.

وتجدر الإشارة إلى أنه لولا الرعاية التي أولاها بنو العباس لهذه الأسرة، لما بزغ نجمها، وعلا شأنها حتى صار أفرادها من أهم رواد صناعة الطب في العصر العباسي، فقد عني الخلفاء العباسيون بالعلم والترجمة، وهو ميدان اشتهر به آل بختيشوع وكانوا في الصفوف الأولى في هذه الصناعة في تلك الحقبة.

النتائج

- كان أهم ما ميز العصر العباسي خلال عهوده المختلفة رعاية الخلفاء للحركة العلمية حيث شهد العصر العباسي نهضة علمية، في مختلف العلوم وهو أمر يحسب لخلفاء بني العباس الذي لولا الدعم الذي أولوه للعلم والعلماء لما كانت هذه النهضة العلمية التي انعكست نتائجها على التقدم الحضاري لبني العباس.

- حظي أفراد هذه الأسرة بمكانة مرموقة خلال العصر العباسي، لمهارتهم في صناعة الطب، الأمر الذي أكسبهم ثقة خلفاء بني العباس، ونالوا مكانة كبيرة لديهم، كما ترك أفراد هذه الأسرة إرثاً عظيماً؛ من خلال عديد المصنفات التي وضعوها وظلت مرجعاً ومنهلاً للمهتمين بالعلوم الطبية على مدار ثلاثة قرون.

- كما كان لآل بختيشوع دور بالغ الأهمية في حركة الترجمة والنقل، التي بلغت أوجها في العصر العباسي، من خلال ترجمة العديد من الكتب، ونقلها للعربية برعاية وتشجيع من خلفاء بني العباس لحركة الترجمة، الأمر الذي انعكس بشكل إيجابي على الحياة العلمية، وكان أحد مظاهر التقدم الحضاري، الذي ميز هذا العصر.

- كان كل فرد من أفراد هذه الأسرة امتدادا للآخر في مسيرتهم الطبية، وأن يكون عالم عصره، وهذا الأمر جعل هذه الأسرة من أهم الأسر التي ذاع صيتها في ذلك الوقت، ويظهر ذلك من خلال العديد من التجارب والاختبارات التي مكنتهم من تشخيص العديد من الأمراض والعلل واكتشافهم لعلاجها.

المصادر والمراجع

أولا المصادر

1_ ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى، (1996): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق عامر النجار، ط1، دار المعارف، القاهرة.
2_ ابن النديم، (2002): الفهرست، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
3_ ابن جلجل، أبي داوود سليمان بن حسان، (1985): طبقات الأطباء والحكماء، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
4_ الزركلي، خير الدين (1997): الأعلام، ج4، ط12، دار العلم للملايين، بيروت.
5_ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، (2003): تاريخ الخلفاء، ط2، دار ابن حزم، بيروت.

6_ العبري، أبي الفرج غريغوريوس بن أهرون المالطي، (1997): تاريخ مختصر الدول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
7_ القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف، (د.ت): اخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق محمد أمين الخانجي، دار السعادة، القاهرة.
8_ الأندلسي، أبي القاسم صاعد بن أحمد، (1992): طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

ثانيا المراجع

1_ أبو أسحق، رفاييل، (1960): أحوال نصاري بغداد في عهد الخلافة العباسية، د.ط، مطبعة شفيق، بغداد.
2_ أحمد، عبدالرازق أحمد: الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
3_ الجمل، أحمد محمد علي، (2005): أثر جهود السريان على الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة.
4_ الدفاع، علي عبدالله،(د.ت):روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم،(د.ط)، مؤسسة الرسالة، الرياض.
5_ حاماتي، سمير،(2009):الأطباء النصارى في العصرين الأموي والعباسي، معهد التراث العلمي، حلب.
6_ خيرالله، أمين أسعد، (1946): الطب العربي " مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به"، المطبعة الأميركانية، بيروت.
7_ السرجاني، راغب،(2008):قصة العلوم في الحضارة الإسلامية ، ط1، مؤسسة إقرأ ،القاهرة.
8_ شلبي، أحمد، في قصور الخلفاء العباسيين،(1954):مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة.
9_ عبدالحميد، طه عبدالمقصود،(2004):الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية ، ج1، دار الكتب،بيروت.
10_ عبدالرحمن، حكمت نجيب،(1977):دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل، الموصل.
11_ عفيفي، محمد الصادق،(1977):تطور الفكر العلمي عند المسلمين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

12_ عكاوي، رحاب خضر،(1994):الموجز في تاريخ الطب عند العرب ، دار المناهل ، بيروت.
13_ علي، ماهر عبدالقادر محمد ، (1987): مقدمة في تاريخ الطب العربي ، ط1، دار العلوم العربية ، بيروت.
14_ غني، قاسم، (2005): من تاريخ الطب الإسلامي، ط1، عين للدراسات والبحوث، القاهرة.
15_ فارس، محمد،(1993): موسوعة علماء العرب والمسلمين ، ط1، دار الفارس للنشر، الأردن.
16_ ماجد، عبدالمنعم،(1996): تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطي، ط7، مكتبة الأنجلو، القاهرة.
17_ محاسنة، محمد حسين، (2001): أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، ط1، دار الكتاب الجامعي، العين.
18_ مراد، موسي يونان، (1973): حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي، (د.ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
19_ النجار، عامر، (1994): في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، ط3، دار المعارف، القاهرة.
20_ نعمة، هيكل، (1991): موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.